# برنامج Richard Paul
# لتنمية مهارات التفكير الناقد لدى الأطفال

## توطئة

عندما بدأ اهتمامي بتعليم مهارات التفكير الناقد بدأت بقراءة العديد من التعريفات والاطلاع على العديد من المراجع، وعلى الرغم من اعتقادي بضرورة تعليم وتنمية هذه المهارات لدى الطلاب ولدى الأطفال، إلا أنني كنت أتساءل كيف يمكن لهذه المفاهيم المعقدة مثل التحليل والتقييم والشرح والتفسير والاستدلال وتقييم الذات أن تكون جزءا من المناخ الصفي، وكيف يمكن لمعلمة المرحلة الإبتدائية أن تشمل تعليم هذه المهارات ضمن ممارساتها الصفية في حين أن من واجبها تعليم الحروف والأرقام والقراءة والحساب والأناشيد والكتابة، وهذه القائمة التي لا حصر لها.

وكلما قرأت عن معنى التفكير الناقد وتعلمت عن مدى أهميته في صناعة القرارات وحل المشاكل كلما زادت قناعتي بضرورة تعليمه والتركيز عليه، بل إنني أصبحت أؤمن بأن التعليم الذي لا ينمي مهارات التفكير هو تعليم لا قيمة له، فكل الأطفال عند مرحلة معينة سيتقنون مهارات العد والجمع والضرب والتهجئة والقراءة والكتابة، لكن القليل منهم سيتعلم فهم ما يقرأ ويتمكن من تحديد موقفه مما يرد في النص، القليل منهم فقط سيتمكن من تحليل الجدل وفحص الأدلة والبراهين وسيمتلك القدرة على التقييم، القليل من الطلبة يمكنهم مراقبة تعلمهم وتحديد نقاط الضعف والقوة لديهم واتباع خطة واستراتيجيات تساعدهم في التغلب على نقاط ضعفهم.

وهكذا بدأ يتحول مجال اهتمامي من الكتب النظرية إلى الأدلة الإرشادية والبرامج العملية التي تركز على تنمية مهارات التفكير الناقد، وأدركت أن جميع هذه البرامج تحتاج إلى تمويل وتكلفة عالية لتأهيل المعلمين ولتغيير الفلسفة المدرسية ولإحضار المستشارين والخبراء ولشراء الكتب والوسائل، مما أثار لدي شعورا من الإحباط، فتعليم التفكير أيضا للنخبة، ولا زال هذا الشعور يتملكني إلى أن حصلت من خلال مكتبة مركز القطان للبحث والتطوير التربوي على مجموعة من الكتب وأشرطة الفيديو من مؤسسة التفكير الناقد في جامعة سونوما في كاليفورنيا Foundation for Critical Thinking/ Sonoma State University. وبدأت بدراسة برنامج Richard Paul لتعليم مهارات التفكير الناقد للصغار، حيث يسعى Paul إلى أن يحول نظريات التفكير الناقد إلى مجموعة من المبادئ والاستراتيجيات التي يمكن تعليمها، وهو لا يقدم «وصفة» لتعليم التفكير الناقد بل مجموعة من المبادئ التي يمكن أن يتبناها أي معلم أثناء التحضير لدروسه المعتادة، وهو يقدم شرحا وافيا عن كل استراتيجية وأفكارا لتطبيقها في الصف، كما أنه يربط هذه الاستراتيجيات بالمفهوم الشامل للتفكير الناقد. وفيما يلي تفصيل هذا البرنامج:

## برنامج Richard Paul لتنمية مهارات التفكير الناقد للأطفال

يرى Paul أن التفكير الناقد هو قدرة الفرد على مراقبة وفحص طرق تفكيره المعتادة والتحكم بمعتقداته وميوله وتفكيره، وبالتالي تزايد قدرته على التحكم بحياته. كما يوضح أهمية التفكير الناقد في حياة كل فرد فهو يرى أن للتفكير الناقد أهمية بالغة في خلق المواطن الصالح الذي يشارك في اختيار المسؤولين ويدلي بصوته بعد تفكير وتأن، ويبين دور التفكير الناقد في حماية المستهلك، ويؤكد على الحاجة للتفكير الناقد في الحياة المهنية والشخصية لكل الأفراد. ويرى Paul أنه من الضروري لكل فرد أن يتعلم مهارات التفكير الناقد ليكون قادرا على اتخاذ القرارات الصائبة وحل المشاكل المستعصية

في حياته، وليستطيع أن يحمي ذاته. وبناء على اعتقاده بضرورة تعليم مهارات التفكير الناقد في المدرسة يرى Paul أنه لا يمكن للمعلم تعليم مهارات التفكير الناقد إذا لم يكن هو نفسه مفكرا متأملا وناقدا، فمن واجب المعلم أن يمارس أمام طلابه مهارات التفكير الناقد والحكم المتأني والسعي الدائم إلى التحسن والتقدم.

تذويت مهارات التفكير الناقد من خلال استخدام الدراما، الأمثلة.

يعتقدPaul أن الأطفال يأتون إلى المدرسة دون القدرة على التفكير الناقد، ويكون تفكيرهم متمركزا حول ذواتهم وحول رغباتهم، وهو يؤكد أن من واجب النظام التعليمي مساعدتهم ليكونوا أشخاصا مسؤولين وعادلين متسلحين بمهارات عقلية وميول إيجابية. يقدم Paul بعض الأساليب التي تساعد الطلبة على تذويت مهارات التفكير الناقد، منها استخدام الدراما لتعميق استيعاب مهارات هذا التفكير، فمثلا يصف Paul ثلاثة أنماط للتنظيم العقلي: الشخص غير الناقد، الشخص المفكر والأناني، الشخص الناقد والعادل. فهو يعتقد بأن المفكر الناقد هو الذي يمتلك مهارات التفكير الناقد ويتمتع بالقيم والميول الوجدانية الإيجابية. أما الشخص الأناني فهو الشخص الذي يمتلك مهارات التفكير الناقد ولكنه يستغلها لخدمة مصالحه الشخصية فحسب. وأخيرا فهو يرى أن الفرد غير الناقد هو الذي يسهل خداعه والتلاعب به، ولتوضيح هذا المفهوم فهو يصف ثلاث شخصيات وهمية تصف طرق تفكيرها[1].

كذلك يصف الكاتب ضرورة استخدام الأمثلة من الحياة اليومية لتوضيح ولتذويت المفاهيم المجردة، ولجعل مهارات التفكير الناقد جزءا من المهارات التلقائية التي يكتسبها الأطفال. ويقدم العديد من الأمثلة لتوضيح هذا المفهوم، منها تذويت مفهوم الديموقراطية، فمن الضروري تبسيط هذا المفهوم كأن يدرك الأطفال أن اشتراكهم جميعا في اختيار اللعبة في ساحة الملعب هو ديموقراطية، وأن انفراد أحد الأولاد بهذا الاختيار هو أمر بعيد عن الديموقراطية.

دور المعلم

يؤكد Paul على دور المعلم في خلق بيئة صفية تشجع على التفكير وتنمي مهارات التفكير الناقد لدى الأطفال، وفي بناء بيئة صفية متسامحة تشجع الطلبة على الحوار والنقاش، فمن واجب المعلم أن يساعد الطلبة على ملاحظة أهمية التفكير وعلى تقدير المعرفة، وأن يشجعهم على توضيح أفكارهم وذلك بأن يعيد المعلم صياغة الأفكار وطرح الأسئلة المساعدة. يضاف إلى ذلك دور المعلم الهام في طرح أسئلة تستثير التفكير، ومساعدة الطلاب على تركيز النقاش حول الموضوع.

وللمعلم دور هام في أن يدل الطلبة على المصادر المتنوعة للمعرفة وأن يقترح عليهم كيفية استخدام هذه المصادر.

الخطط التعليمية المعدلة

يعتمد منهاج Paul لتعليم التفكير الناقد للصغار على إعادة صياغة الدروس التعليمية بحيث تنمي مهارات هذا التفكير لديهم. فالمعلم يعلم الأطفال العديد من المواضيع، ويعتقد Paul أن المعلم يستطيع أن يثري الخطط التعليمية التقليدية بإعادة صياغتها بحيث يستثير تفكير الأطفال وينميه. ومن أجل مساعدة المعلم على تنمية هذه المهارات وضع Paul قائمة بأبعاد التفكير الناقد واستراتيجياته، وصاغ وصفا لكل استراتيجية ليساعد المعلم على تعليم هذه الاستراتيجية وتوضيحها للأطفال. ويصفPaul خمسا وثلاثين استراتيجية تساعد على تنمية مهارات التفكير لدى الصغار، وهو يقدم أمثلة على هذه الاستراتيجيات في العديد من الخطط التعليمية المعدلة وفقا للبرنامج الذي يقترحه[2]. يتكون وصف الاستراتيجيات هذه من بعدين متلازمين هما المبدأ والتطبيق. فالمبدأ يربط بين الاستراتيجية والمفهوم العميق للتفكير الناقد، والتطبيق يقدم أفكارا لتعليم هذه المهارة وتطبيقها في الصف. وتتكون الخطط المعدلة من ثلاثة عناصر أساسية هي الخطة الأصلية، حيث تصف الموضوع وكيفية طرحه وما يتضمنه من أسئلة وأنشطة، ثم النقد لهذا الدرس أو للخطة التعليمية، حيث يبين أهمية الموضوع ويقيّم طريقة عرض الدرس الأصلي، ويقدم لمحة عامة لكيفية تعديله، وأخيرا الدرس المعدل حيث يصف الدرس الجديد والأسئلة والأنشطة المتعلقة به، ويركز على استراتيجيات التفكير الناقد المحددة التي تنميها الأسئلة في الخطط المعدلة. ويبين Paul أن إعادة صياغة الدروس التعليمية تهدف إلى إثراء الدروس الموجودة أصلا ضمن المناهج والكتب المقررة، بحيث تصبح هذه الدروس تعنى بتنمية مهارات التفكير الناقد. ويورد الكاتب عناصر «إعادة صياغة الدروس التعليمية» التي تشمل الأهداف من إعادة الصياغة، ووصفا للدرس العادي

1- يمكن مراجعة العدد السابع – الثامن المزدوج من «رؤى تربوية» للتفصيل.

2- تتوفر هذه الدروس المعدلة في مكتبة مركز القطان.

(قبل الصياغة) ونقدا للدرس قبل إعادة صياغته، كما يبرز استراتيجيات التفكير التي ستركز عليها الخطة الجديدة، كما هو موضح في الشكل التالي:

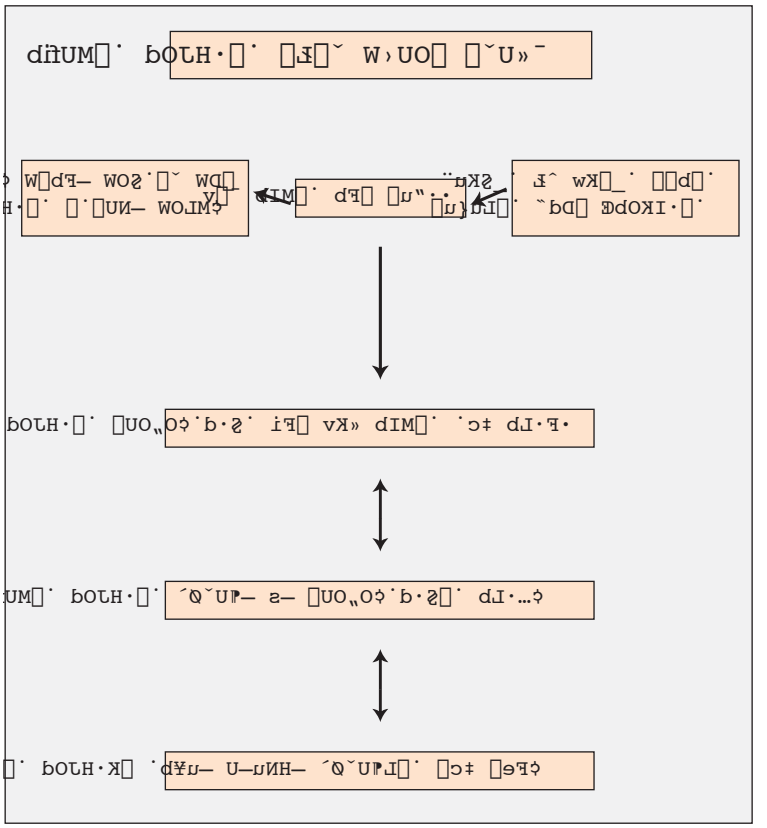

استراتيجيات التفكير الناقد

يقسم Paulاستراتيجيات التفكير الناقد إلى استراتيجيات إنفعالية Affective skills واستراتيجيات معرفية، ويقسم الاستراتيجيات الإنفعالية إلى استراتيجيات شاملة Cognitive macro skills، واستراتيجيات صغيرة محددة Cognitive micro skills.

الاستراتيجيات الإنفعالية

هي الاستراتيجيات التي تساعد الأطفال على إدراك أهمية التفكير وتنمي لديهم الثقة بأنهم يستطيعون تطوير مهارات التفكير المستقل، وتزيد هذه الاستراتيجيات من الوعي المستمر لطرق تفكيرهم وطرق تفكير الآخرين. حيث تشجع الاستراتيجيات الانفعالية مهارات الإصغاء للآخرين وتأمل ما يقولونه وكيف يفكرون، وتشجع الأطفال على التفكير بمشاعرهم ومشاعر الآخرين وتبرز العلاقة بين الفكر والعاطفة.

كذلك تشتمل الاستراتيجيات الانفعالية على تنمية تساؤلات الطفل حول بيئته والسعي الدائم إلى الفهم والشرح والبحث عن الحلول للصعوبات التي تعترضه وتعترض الآخرين، وهذا ما يصفه Paul «بالفضول العقلي» Intellectual Curiosity. يضاف إلى ذلك مهارة هامة وهي «الحساسية الاجتماعية» Social Sensitivity ويقصد بها أن ينتبه الأطفال إلى السياق الاجتماعي الذي يتواجدون به، والانتباه إلى الأسئلة التي يطرحونها وكيفية التعبير عن أفكارهم بما يتلاءم مع الموقف الاجتماعي، كذلك إدراك حدود معرفتهم وقدراتهم المحدودة، وبناء عليه التأني وتأجيل الأحكام. يمكن للمعلم أن يطور هذه المهارات لدى الأطفال من خلال ممارسته الدائمة لهذه المهارات وتطبيقها في الصف، كما يمكن للمعلم أن يسأل العديد من الأسئلة التي تنمي هذه الاستراتيجيات لدى الأطفال مثلا «ما رأيك في الدرس/ القصيدة/ الموقف/ الشخصية؟» «كيف كونت رأيك؟ لماذا تعتقد ذلك؟» «كيف يمكن لطفلين أن يصفا شجارا وقع في الساحة بطرق مختلفة؟» «كيف يشرح الأخوة خلافا حدث بينهم للوالدين؟ هل يرويان

الوصف نفسه، لماذا؟» «اكتب حول قضية معينة مبينا وجهات النظر المختلفة؟» «كيف شعر هذا الشخص في هذا الموقف، ماذا كان يفكر؟ هل كان تفكيره صحيحا؟» «لو فكر هذا الشخص بطريقة مختلفة، كيف كان سيشعر؟» «صف خلافا وقع بينك وبين شخص آخر، ماذا كنت تعتقد وكيف كان شعورك؟ ماذا كان يعتقد الشخص الآخر وكيف شعر؟»

الاستراتيجيات المعرفية

يقسم Paul الاستراتيجيات المعرفية إلى استراتيجيات شاملة واستراتيجيات صغيرة ومحددة، والاستراتيجيات الشاملة هي التي تنظم الاستراتيجيات الصغيرة في إطار فكري متسق. يقصد بالاستراتيجيات الصغيرة مقارنة ما يقوله الشخص بما يفعله ومقارنة المثاليات بالواقع، وتحديد أوجه التشابه والاختلاف بين طرق حل المشكلات، وفحص الفرضيات والتمييز بين الرأي والحقيقة، فحص الأسباب وإعطاء الأدلة وملاحظة التناقضات وإدراك نتائج الأفعال. إن التركيز فقط على هذه الاستراتيجيات الصغيرة المحددة، سيولد بلا شك مهارات تفكير منفصلة، لكن الهدف هو مساعدة الأطفال ليكونوا مفكرين ناقدين متأملين وليس أن يمتلكوا مجموعة من استراتيجيات التفكير المنفصلة. لذلك لا بد من تكامل هذه المهارات الأولية لإعداد مفكرين ناقدين. فالمهارات الشاملة هي التي تجمع الاستراتيجيات المحددة في إطار فكري متكامل. وتشمل هذه المهارات، تجنب التعميمات وتبسيط الأمور، مقارنة المواقف ونقل المهارات من موقف إلى آخر، توضيح القضايا، ووجهات النظر، وتحليل الجدل وتقييم الحلول، وتقييم السياسات.

من أهم الاستراتيجيات المعرفية الشاملة، فهم الممارسات الميكانيكية، مثل القواعد اللغوية والحساب، فمن الضروري أن نسأل الأطفال «لماذا نحتاج هذه القواعد؟»، يمكن سؤالهم مثلا «لماذا نستخدم وحدات القياس؟» كذلك لتعزيز فهم الاستراتيجيات الشاملة، يمكن طرح التساؤلات التالية «هل هذه هي الطريقة الوحيدة/ المثلى لحل المسألة؟» «هيا نفكر بطرق بديلة لحل المشكلة/المسألة.» «أي طريقة هي الأفضل، ولماذا؟» ولا بد من التوضيح للأطفال أن هناك هدفا للتعلم، وهناك هدفا للتفكير، وهدفا للقوانين وللأنشطة. إن مساعدة الاطفال على فهم الأهداف غير المعلنة استراتيجية هامة لتنمية مهارات التفكير الناقد. إن التعلم بالنسبة للأطفال هو مجموعة من المواضيع المجهزة مسبقا والتي يجب أن يعرفوها، لكن من الضروري أن يتساءل الأطفال حول ما يتعلمونه والهدف من هذا التعلم، مثلا «ما هي العلوم؟ ولماذا نتعلم عنها؟ ماذا يعمل العلماء؟ ما هي الأسئلة التي يطرحها العلماء؟» لكل شيء يتعلمه الأطفال هدف، وللنشاط الإنساني أهداف، وهناك طرق مختلفة للقيام بالعمل نفسه، وبعض هذه الطرق أفضل من غيرها. فالمفكر الناقد لا يتساءل «ماذا أفعل؟» فحسب، بل يتساءل «لماذا أفعل هذا؟» أيضا.

من المهارات المعرفية الشاملة التي يوضحها Paul مهارة تقييم الأفعال والسلوك والقوانين، وتعني هذه المهارة ببساطة أن المفكرين الناقدين يميلون إلى تقييم القوانين والسياسات والسلوك. الطريقة المثلى لتطوير هذه المهارة هي ممارستها من خلال التوصل إلى الحكم والتقييم وشرح هذا التقييم وإعطاء مبررات له. يكون المعيار أو المحك واضحا للمفكرين الناقدين عند تقييم سلوك الآخرين وسلوكهم أنفسهم، ويكون هذا المعيار موضعا للنقد وللتقييم أيضا. يتفحص المفكر الناقد النتائج ويولي عناية كبيرة لهذه النتائج المترتبة على سلوك أو تصرف أو سياسة معينة عند التقييم. ويعتمد المفكر الناقد في تقييمه على افتراضات فكر وآمن بها وهو يستطيع أن يبين هذه الافتراضات التي يعتبرها بمثابة مبادئ يعتنقها ويبررها منطقيا.

استراتيجية أخرى للتفكير الناقد هي تطوير محك لتقييم سلوك الآخرين وتوضيح القيم والمعايير. يدرك المفكر الناقد بأن الميل والتفضيل لا يكون بديلا عن التقييم المنطقي. هذا الفهم يتطلب الانتباه والوعي لعملية التقييم خاصة عند تطوير معايير ومحكات لإعتمادها عند إطلاق الأحكام. تعتمد هذه المحكات والمعايير لدى المفكر الناقد على القيم التي فكر بها ويدرك أهميتها ويفهم لماذا يعتبرها قيما ومبادئ. يفهم المفكر الناقد السلوك أو الشيء موضع التقييم، ويراعي جميع وجهات النظر المتعلقة بموضوع التقييم عند تطوير هذه المعايير.

قدمت هذه المقالة وصفا موجزا لنموذج Richard Paul في تعليم مهارات التفكير الناقد الإنفعالية والمعرفية للصغار، ويتميز هذا البرنامج بأنه يصف بدقة مجموعة من الاستراتيجيات ويقدم أمثلة تطبيقية من خلال خطط ودروس تعليمية خاصة بكل استراتيجية، مما يجعلها واضحة تماما للمعلمين، فيستطيع المعلم بذلك أن يعيد صياغة الدروس التعليمية المتواجدة ضمن المنهاج الذي يستخدمه، بحيث يركز من خلال الدرس على إحدى هذه المهارات. كما يوضح الكاتب أساليب تدريس هذه الاستراتيجيات للأطفال بحيث تصبح جزءا من الممارسات الصفية الدائمة.

دعاء دجاني

مركز القطان للبحث والتطوير التربوي